




مجلة فكرية شهرية عامة تصدر في بغداد رئيس التحرير : شفيق الكمالي

## من محتويات هذا العدد



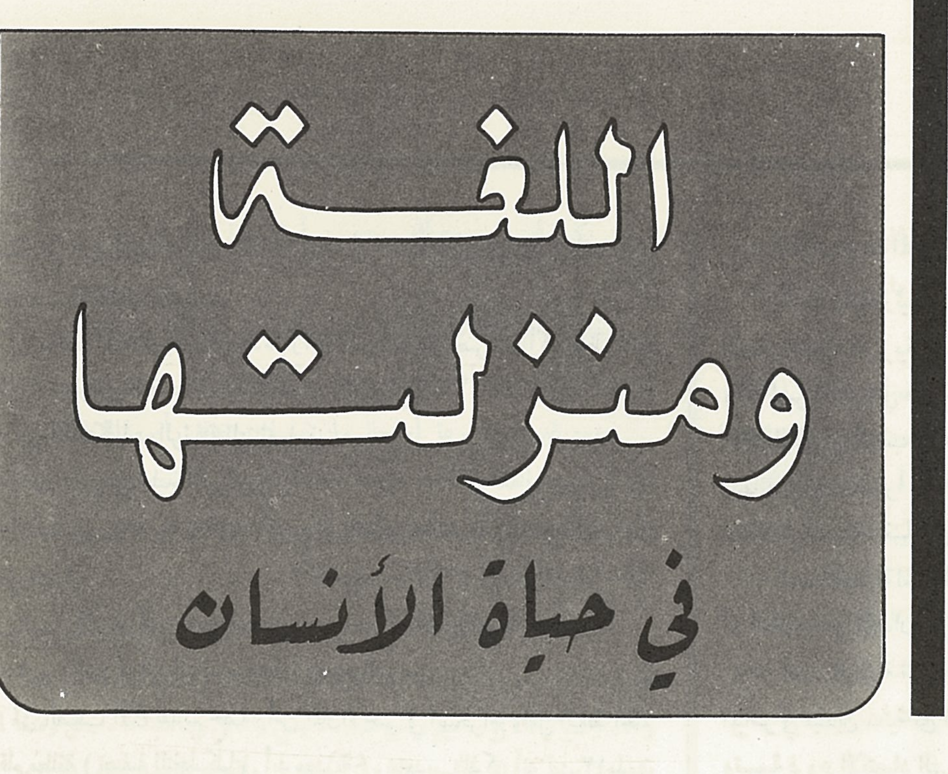
العدد 4

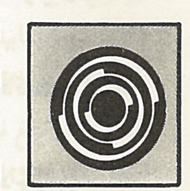
كانون الأول 1975

المراسلات ◆ مجلة افاق عربية ◆ الصرافية - بغداد ◆ هاتف : 22011 — 22012

◆ صندوق بريد : 4032 ( اعظمية ) ◆ العنوان البرقي : فاق - عراق

تصميم وطبع مؤسسة رمزي للطباعة - بغداد ◆ تلفون 38051



نقصد باللغة – في هذا البحث – الكلمات التي يستعملها الناس تحدثاً وبالكتابة [ العربية : الفرنسية الخ ] والتي ينفرد بها النوع الانساني دون سائر المخلوقات لأنها تستلزم أدوات فسلجية [ مراكز مخية لغوية(١) ] ومحتوى أو مضموناً [ الكلمات نفسها ] تفتقر اليه الحيوانات جميعها. والدليل المادي القاطع على ذلك هو استحالة تعليم الحيوانات اللغة بالشكل الذي يتعلمها الانسان وذلك لافتقارها الى المراكز المخية اللغوية من جهة وفقدان اللغة عند الاطفال الذين أختطفتهم الحيوانات في سن مبكرة وعاشوا بينها فترة طفولتهم الاولى وذلك لافتقارهم الى البيئة الاجتماعية التي تزودهم بمحتوى اللغة [ الكلمات(٢) ] . فاللغة اذن ذات ركنين متميزين ومتلاحمين هما الأساس المادي الجسمي والمحتوى الاجتماعي لا بد من توافرهما معاً لحدوثها .

نشأت اللغة في مجرى حياة الانسان الاجتماعية البدائية على هيئة أصوات مبهمة يتداولها الناس في مجرى حياتهم اليومية أثناء صراعهم ضد الطبيعة العاتية من أجل البقاء وعندما توفرت لها جوانب فسلجية جسمية بدائية هي الاخرى [ مراكز مخية لغوية بدائية وجهاز نطق بدائي ايضاً ] أي ان اللغة من حيث هي ظاهرة اجتماعية [ كلام متحدث به بدائي في أول الأمر ثم مكتوب بعد ذلك وعلى أساسه ] نشأت في مجرى نشاط الانسان الاجتماعي أثناء مغالبته الطبيعة بعد ان نضجت معها وبتأثيرها وتمهيداً لها امكانيات فسلجية خاصة تتعلق بالجهاز العصبي المركزي وجهاز النطق . وقد ثبت ان « الكلمات » البدائية – الأصوات المبهمة بمقاييسنا الحديثة – التي استعملتها البشريات المنقرضة [ اعتباراً من انسان بكين الذي عاش قبل زهاء نصف مليون سنة وحتى انسان نندرتال الذي عاش قبل حوالي مئة الف سنة ] كانت غير متميزة المقاطع أقرب الى الاصوات الحيوانية منها الى كلام البشر المألوف في الوقت الحاضر وذلك لبدائية جهاز النطق بالدرجة الاولى . ثم أخذت تتسم بالوضوح والدقة تدريجياً مع تطور الانسان وتكامل نضج حنجرته وحباله الصوتية وتكامل تطور مراكزه المخية اللغوية الى ان وصلت الى وضعها الراقي الحديث . واللغة من هذه الناحية [ أية لغة ] مثل الكائن الحي تنشأ وتتطور وفق ظروفها البيئية ووفق حاجات السكان المحليين الذين يستعملونها. ولهذا نجد مثلا غزارة مفردات اللغة وتعدد أسماء الحيوانات والنباتات والظواهر والأشياء كلها تختلف باختلاف البيئات الطبيعية والاجتماعية. فلدى الاسكيمو مثلا أكثر من [ ٤٠ ] كلمة تصف الثلج بتعدد اشكاله ومواسمه . ولدى العرب ما يزيد عن ذلك في وصف السيف أو الفرس أو الجمل . وعند الشعوب المتخلفة في تطورها الاجتماعي مقدار ضئيل من الكلمات التي تعبر من المجردات [ المدركات العقلية Concepts ] . وفي كثير من اللغات المعاصرة يتعذر وجود أسماء لاجزاء السيارة مثلا وللمصطلحات في الفيزياء النووية أو الرياضيات العالية . ومع ذلك فان باستطاعة هذه اللغات ان تواكب سير العلم والمدنية الحديثة عند نشوء الحاجة اليها بارتفاع المستوى الثقافي للمجتمع الذي يستعملها. وعلى هذا الأساس فانه من غير الجائز علمياً تقسيم اللغات المعاصرة الى بدائية وراقية على أساس فقدان الأولى المصطلحات العلمية والحضارية لأن هذا الافتقار ناجم عن التخلف الثقافي للسكان وانه يزول بزواله . فقد مر زمان كانت فيه اللغات الاوربية الكبرى الفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية مثلا مفتقرة الى المصطلحات العلمية والحضارية . وكما ان هذه اللغات تطورت بتطور ثقافة شعوبها فكذا الحال في اللغات الاخرى التي هي دونها في مستوى التطور الاجتماعي بفعل تخلف الناطقين بها حضارياً : أي ان التقدم العلمي والحضاري بالغ الأثر في التطور اللغوي من حيث غزارة المفردات العلمية والحضارية على كل حال .

احتلت اللغة منذ نشوئها وفي مجرى تطورها المكان الاول والأهم في حياة الانسان وفي علاقاته ببعضه وبالطبيعة . واللغة في حقيقتها هي التي جعلت الانسان يتخطى حدود خبرته الشخصية المباشرة الناجمة عن احتكاكه المباشر بالطبيعة ويتخطى معها ايضاً خبرة النوع الانساني البايولوجية التي يرثها عن أسلافه . ومكنته من تنسيق جهوده مع غيره وتوحيدها في مجرى مشترك جعل تداول الخبرة ممكناً بين الأفراد والمجتمعات والأجيال . وقد أحدث هذا تبدلا جذرياً ونوعياً في تكوين الخبرة الفردية عند الانسان بشكل تخطى حدود ماهي عليه لدى الحيوانات الراقية : فليس في متناول الحيوان الراقي سوى مخزون انطباعاته الحسية عن الطبيعة التي يعيش فيها ، التي أكتسبها في مجرى حياته اليومية الفردية والذي يفنى بفنائه في حين ان الانسان مزود بخيرة الاجيال السابقة التي يكتسبها عن طريق اللغة المنطوق بها والمدونة : اي ان اللغة اداة اجتماعية تنقل التراث الاجتماعي عبر المجتمعات والاجيال ومن شخص الى شخص بالحديث، او الكتابة وان الآثار الفكرية للافراد والمجتمعات لاتفنى بفنائها .

لاشك في ان الكلمة [ اية كلمة في اية لغة ] تكون في العادة مشحونة بجوانب انفعالية [بالاضافة الى جانبها الفكري : معناها] مختلفة العمق بالنسبة لمن يتحدث بها او يكتبها وبالنسبة ايضاً للسامع والقاريء فكلمة «جمل»

---

(١) وهي كثيرة اكتشف أولها عالم الفسلجة الفرنسي بروكا ( ١٨٢٤ – ١٨٨٠ ) في عام ١٨٦١ وقد سمي بأسمه «مركز بروكا» ثم اكتشف المختصون من بعده مراكز مخية لغوية اخرى كثيرة سمي بعضها بأسماء مكتشفيه مثل «مركز برودمان» العالم الالماني و«مركز فيرنكا» الخ .

(٢) لقد درس المختصون اكثر من (٣٠) طفلاً من هذا القبيل عثر على أولهم في القرن السادس عشر وعلى آخرهم قبل زهاء ربع قرن. ومن أشهرهم طفل غابة افيرون الفرنسي الذي عثر عليه في أواخر القرن الماضي والطفلتان اللتان عثر عليهما في الهند عام ١٧٢٠. وقد درست حالات هؤلاء الأطفال دراسة تفصيلية وحاول المشرفون عبثاً ان يعلموهم اللغة.

د . نوري جعفر

و «صحراء» و «سيف» ترتبط بالنسبة لابن الصحراء عموماً [مع اختلاف واضح بين القبائل وبين افراد كل منها] بمشاعر سلبية او ايجابية حسب أثرها السابق في مجرى حياته اليومية [بالاضافة بالطبع الى دلالتها: كونها اسماً لشيء مادي محسوس]. وتجري هـذا المجرى ايضاً «ثلج» و «نار» و «برد» بالنسبة للاسكيمو. ويتجلى تشبع الكلمات بالمشاعر في الشعر والأدب عموماً ولهذا فان ترجمة التراث الأدبي وبخاصة الشعر من لغة الى اخرى تقتصر [في افضل الظروف] على الجوانب الفكرية الضيقة وتترك وراءها ثروة ضخمة من المشاعر لاتقوى على نقلها من لغتها الأصلية الى اية لغة اخرى. وتصبح ترجمة المعنى نفسه في حكم المستحيل في حالة الاستعمالات المجازية التي لايقتصر غموضها على الترجمة من لغة الى اخرى وانما هو يتضح ايضاً لدى ابناء اللغة الواحدة. من ذلك مثلا: ماروته كتب الاخبار العربية من قصص طريفة في هذا الباب. منها مثلا: «ان رجلا قال اتيت الجمحي استشيره في امرأة أردت التزوج بها. فقال: أقصيرة أم غير قصيرة؟ قال الرجل فلم أفهم ذلك. فقال لي كأنك لم تفهم ماقلت!!... أردت بقولي قصيرة أهي: قصيرة النسب تعرف بأبيها أو جدها .... وذكر الرواة العرب ايضاً ان عبدالله بن سلام رأى على رجل ثوباً معصفراً فقال له «لو ان ثوبك هذا في تنور اهلك او تحت قدرهم كان خيراً!» فذهب الرجل واحرق ثوبه. فلما بلغ ذلك عبدالله قال ما أردت هذا بل قصدت «لو صـرفت ثمنه الى دقيق تخبزه أو حطب تطبخ به كان خيراً.» وذكروا أيضـاً ان امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت «أشكو اليك قلة الفأر في بيتي». فقـال «ما أحسن ما درت عن حاجتها».. املاوا بيتها خـبزاً وسمناً ولحماً ....

ثبت أن للكلمات أثراً فسلجياً عميقاً في حياة الانسان الانفعالية من الناحيتين السلبية والايجابية وان باستطاعة الكلمة المتحدث بها أو المكتوبة أن تستثير لدى الشخص استجابات على نسق ما تستثيره مسمياتها(٣): أي أن الكلمة تستطيع ان تحل وظيفياً محل مسماها. وقد استطاع كثير من الجراحين ـ عن طريق استعمال الكلمات الرقيقة ـ أن يجروا عمليات جراحية بسيطة دون الاستعانة بالتخدير ودون أن يشعر المريض بالألم. وهذا هو أساس «العلاج السايكولوجي» عن طريق «الايحاء اللفظي». وللايحاء اللفظي هذا آثار علاجية كثيرة مألوفة في الحياة اليومية تتضح كثيراً في المجتمعات المتخلفة [التمائم: الأدعية]. وله ايضاً آثار مهمة في حقل التعليم سلبية [استعمال الكلمات الجـارحة(٤): تأنيب الطالب المقصر الخ] وايجابية [كلمات التشجيع]. ولهـذا فاننا نوصي المدرسـين [والآبـاء والامهات] بضرورة الكف عن التأنيب الجارح وان يستعينوا بالكلمات الرقيقة في تربية الأطفال لأنها تبعث الثقة بالنفس والتفاؤل. فقد ثبت ان الكلمات القاسية أو الجارحة تؤذي المخ لدى كثير من الطلاب لا سيا ذوي نمط الجهاز العصبي المركزي الضعيف والنمط القوي غير المتزن ونمط الفنانين(٥). وتزداد حدة هذا الايذاء في أوقات الامتحانات بصورة خاصـة وأثناء استدعاء صغار التلاميذ الى السبورة أو توجية أسئلة محرجة في الصف وفي جميع الحـالات الاخرى التي يتعرض فيها المخ للارهاف. وكثيراً ما يؤدي التأنيب أو الازدراء الى اصـابة الاطفـال بالاضطرابات العصبية [بالاضافة بالطبع الى فقدانهم الثقة بالنفس وعدم بذل الجهد الفكري المطلوب ونشوء مشاعر المقت والحقد]. ولهذا فان التشجيع بالكلمات الرقيقة أفضل أداة للتعليم. وللتعامل بين الناس. وقد ثبتت قيمته حتى في تدريب الحيوانات فما بالك بتعليم الانسان!! فقد ذكر مـدرب الحيـوانات السوفيتي المشهور أيدر في مذكراته التي ترجمت الى اللغـة الانكليزية بعنوان «اصدقائي الحيوانات» قصصاً طريفة في هذا الباب بامكاننا نحن المدرسين الانتفاع بها(٦) كلها تدل على ان الرفق والمعاملة الحسـنة [وكلمات التشجيع في حالة الانسـان] بالغة الآثار الايجابية في التعليم.

(٣) كلمة «ليمون حامض» مثلاً تستثير اللعاب كما يستثيره الليمون الحامض نفسه.

(٤) قال الشاعر:

جراحات السنان لها التآم: ولا يلتام ما جرح اللسان

[٥] لقد بحثنا التركيب الفسلجي لهـذه الانماط بحثاً مفصلاً في كتابنا «طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف» مطبعة الزهراء/بغداد/١٩٧١ الفصل الرابع.

(6) Eder, B. My Animel Friends, Moscow, Foreign Lanquages publishing House, no date.

## أهم مراجع البحث


1. Luria, R. A. : Speech and the Development of Mental Processes in the Child, London, Stample, 1968.

2. Penfield, W. : Speech & Brajn Mechanismss, Princeton, 1959.

3. Platanon, K . : The Word as a Psychclagical & Physiological Factor, Moscow, Foreign Lanquages Publishing House, 1959,

٤ : الدكتور نوري جعفر : اللغة والفكر/المغرب/ الرباط/مطبعة التومي/١٩٧٢ .

٥ : الدكتور نوري جعفر: الجهاز العصبي المركزي/ بغداد/مطبعة الزهراء/١٩٧١ .